

البداية والنهاية

إن تمس دار ابن آروى منه خاوية ... باب صريع وباب محرق خرب ... فقد يصادف باغي العرف حاجته ... فيها ويأوى إليها المجد والحسب ... يا معشر الناس ابدوا ذات انفسكم ... لا يستوي الصدق عند الكذب ... وقال الفرزدق .

إن الخلافة لما إظعنت طعنت ... عن أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا ... صارت إلى أهلها منهم ووارثها ... لما رأى في عثمان ما انتهكوا ... السافكي دمه ظلما ومعصية ... أي دم لاهدوا من غيتهم سفكوا () .

وقال راعي الإبل النميري في ذلك ... عشية يدخلون بغير إذن ... على متوكل أوفى وطابا ... خليل محمد ووزير صدق ... ورابع خير من وطء الترابا ... فصل إن قال قائل كيف وقع قتل عثمان هـ بالمدينة وفيها جماعة من كبار الصحابة هـ فجوابه من وجوه أحدها أن كثيرا منهم بل أكثرهم أو كلهم لم يكن يظن أنه يبلغ الأمر إلى قتله فإن أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عينا بل طلبوا منه أحد أمور ثلاثة إما أن يعزل نفسه أو يسلم إليهم مروان بن الحكم أو يقتلوه فكانوا يرجون أن يسلم إلى الناس مروان أو أن يعزل نفسه ويستريح من هذه الصائقة الشديدة وأما القتل فما كان يظن أحد أنه يقع ولا أن هؤلاء يجترؤون عليه إنما هذا حده حتى وقع ما وقع الكذب والكذب وأعلم الثاني أن الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة ولكن لما وقع التضيق الشديد عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا فتمكن أولئك مما أرادوا ومع هذا ما ظن أحد من الناس أنه يقتل بالكلية الثالث أن هؤلاء الخوارج لما اغتنموا غيبة كثير من أهل المدينة في أيام الحج ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة بل لما اقترب مجيئهم انتهزوا فرصتهم قبحهم الكذب وصنعوا ما صنعوا من الأمر العظيم الرابع أن هؤلاء الخوارج كانوا قريبا من ألفي مقاتل من الأبطال وربما لم يكن في أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة لأن الناس كانوا في الثغور وفي الأقاليم في كل جهة ومع هذا كان كثير من الصحابة اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم ومن كان يحضر منهم المسجد لا يجيء إلا ومعه السيف يضعه على حيوته إذا احتبى والخوارج محدقون بدار عثمان هـ وربما